

مختصر ابن كثير

31 - وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .

32 - وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

33 - وما كان إلا ليعذبهم وأنت فيهم وما كان إلا معذبهم وهم يستغفرون .

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تتلى عليهم أنهم يقولون : { قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا } وهذا منهم قول بلا فعل وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا وقد قيل : إن القائل لذلك هو (النضر بن الحارث) فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رستم وأسفنديار ولما قدم وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه وهو يتلو على الناس القرآن فكان إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول : يا الله أينا أحسن قصصا أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب رقبتة صبرا بيد يديه ففعل ذلك والله الحمد وكان الذي أسره (المقداد بن الأسود) B كما قال ابن جرير . ومعنى { أساطير الأولين } جمع أسطورة : أي كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى : { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا - إلى - إنه كان غفورا رحيفا } أي لمن تاب إليه وأتاب فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .

وقوله تعالى : { وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم } هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم وهذا مما عيبوا به وكان الأولى لهم أن يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب وتقديم العقوبة كقوله تعالى : { ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب } وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب } وقوله : { سألت سائل بعذاب واقع } وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة كما قال قوم شعيب له : { فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين } . عن أنس بن مالك قال أبو جهل ابن هشام : { اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم } فنزلت : { وما كان إلا ليعذبهم وأنت فيهم وما كان إلا

معذبهم وهم يستغفرون { (أخرجه البخاري في صحيحه) . وقال الأعمش عن ابن عباس في قوله :
{ وإذ قالوا اللهم { الآية قال : هو النضر بن الحارث بن كلدة قال : فأُنزل اﷻ : { سأل
سائل بعذاب واقع ... للكافرين ليس له دافع } (وهو قول مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير
والسدي) .

وقوله تعالى : { وما كان اﷻ ليعذبهم وأنت فيهم وما كان اﷻ معذبهم وهم يستغفرون {
قال ابن عباس : كان المشركون يطوفون بالبیت ويقولون : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك
إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون : غفرانك غفرانك فأُنزل اﷻ : { وما كان اﷻ ليعذبهم
وأنت فيهم { الآية . قال ابن عباس : كان فيهم أمانان النبي صلى اﷻ عليه وسلّم والاستغفار
فذهب النبي صلى اﷻ عليه وسلّم وبقي الاستغفار (أخرجه ابن أبي حاتم) . وعن ابن عباس :
{ وما كان اﷻ ليعذبهم وأنت فيهم { يقول ما كان اﷻ ليعذب قوما وأنبياءهم بين أظهرهم حتى
يخرجهم ثم قال : { وما كان اﷻ معذبهم وهم يستغفرون { يقول : من قد سبق له من اﷻ الدخول
في الإيمان وهو الاستغفار يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة وقال الضحاك : { وما
كان اﷻ معذبهم وهم يستغفرون { يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة . وقال رسول اﷻ صلى اﷻ
عليه وسلّم : " أنزل اﷻ علي أمانين لأمتي : { وما كان اﷻ ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
اﷻ معذبهم وهم يستغفرون { فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة " (رواه
الترمذي في سننه) . ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد أن رسول اﷻ صلى اﷻ
عليه وسلّم قال : " إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم
في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني " (أخرجه أحمد
والحاكم وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه)